

فَالْأَمَلُ وَالْإِيمَانُ

فَالْأَمَلُ وَالْإِيمَانُ

obeikandi.com

١ - الرب الأعظم المنفرد بإرادته

تأمل! فإن ربى هو ذلك الخالق الفعال الذى يملك كل أنواع التصرف والاختيار^(١) كل العظماء الذين يصفهم الناس بالعظمة فإن ربى أعظم من كل هؤلاء العظماء لا حاجة لربى قط موقوفة عند أحد ولا يحمل ربى قط منة لأحد فقد أوجد من العدم صورة الكون هكذا شأن ربى "ذلك"^(٢) الخالق المربى إن ربى هو صانع كل المصنوعات (الموجودات) وهو كذلك سميع لكل الأصوات والأقوال إن ربى عطار تلك العطور الطيبة التى لا يوجد لها مثل ولا مثال فى الوجود كله^(٣)

(١) معنى البيت: إن ربى فعال لما يريد. وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَعَالٍ لِّمَا يَرِيدُ﴾

سورة هود ١٠٧. ومن قوله تعالى: ﴿يَبْلُغُ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا﴾ سورة يوسف ٨٣

(٢) ذلك: من إضافتى أنا المترجم لتوضيح المعنى والسياق يدل عليها.

(٣) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن كل بناء من أبنية الدنيا والآخرة
فإن ربى هو معمر كل تلك الأبنية وبانيها
إن ربى عالم صحائف غير مكتوبة
وهو عليم خبير بكل الأسرار المكتومة
إن ربى خبير عليم بكل ما هو كائن
ظاهرا كان أو باطنا، وما كان بينهما^(١)
كل ما هو واضح أو مبهم، وكل ما هو فى الأوسط
فإن ربى واقف مطلع على كل ذلك عارف به
لا شريك له فى إمارة ملكه وسلطانه
إن ربى هو الملك الحاكم بلا شريك
إن وحدانيته وانفراديته ليست من عجزه
إنه كثير قوى فى وجوده الوجدانى والانفرادى
إن الذين مناصرهم ربى وهو مساعدهم
فإنهم ليسوا فى حاجة إلى نصره أحد غيره^(٢)
ما الداعى لأن أبحث عنه وأطلبه فى مكان آخر
فإن ربى موجود بجانبى داخل دارى ومجلسى

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

ليس لربى تغيير ولا تبديل يا عبد الرحمن
إنه ثابت متمكن من الثبات دائما أبدا

“ ١٥ ”

‘ ٢ - محمد خاتم الرسل والأنبياء ’

لو لم تظهر صورة محمد ﷺ فى هذا الوجود
لما خلق الله هذه الدنيا وما فيها من الموجودات^(١)
إن الدنيا وكل وما فيها قد جاء إلى الوجود تكرىما لمحمد ﷺ
فالرسول محمد ﷺ هو الأب “الروحى”^(٢) لهذه الدنيا كلها
فقد ختمت رسالة النبوة بمحمد ﷺ وتمت
لا وجود لأنبياء جدد ورسول بعد محمد ﷺ
إن نور محمد ﷺ قد جاء إلى الوجود فى الوقت الذى
لم يكن هناك وجود لعبير آدم وحواء

(١) المعنى مأخوذ من هذا القول المأثور: “لولاك لولاك لما خلقت الأنلاك” قال الصغاني هذا القول: “موضوع” ويقول إسماعيل العجلوني الجراحي: “معناه صحيح وإن لم يكن حديثا” راجع إسماعيل محمد العجلوني الجراحي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث عن ألسنة الناس ٢: ٢٣٢ مكتبة التراث الإسلامى مجلس، ودار التراث بالقاهرة.

(٢) الروحى: من إضافتى أنا المترجم لتوضيح المعنى، والسياق يدل عليها

إن عبير محمد ﷺ كان موجودا فى العالم فى الوقت الذى
 لم يكن لعبير كل من آدم وحواء أى وجود
 فإذا كانت صورة محمد ﷺ أو هيئته قد ظهرت كخاتم للأنبياء
 فإنه فى حقيقة المعنى هو الأول من كل الخلق
 إن كل موجود نبيا كان أو وليا أو عاصيا
 فإن محمدا ﷺ إمام لهؤلاء جميعا وقائدهم
 إن كل من اعتنق دين محمد ﷺ وآمن به
 فإنه من أهل الجنة فاسقا كان أو زاهدا تقيا
 إن محمدا ﷺ مرشد للضالين المضلين وقائدهم الهادى
 وإنه كالعصا فى أيدي العميان للاسترشاد
 إن النور الحقيقى هو اتباع محمد ﷺ، والاقتداء به
 وإلا فإنه لا وجود للنور فى هذه الدنيا بتاتا
 إن محمدا ﷺ وسيلة لعلاج حاجة المحتاجين
 وهو دواء شاف لداء كل مريض وعليه
 لا تعده إلها معبودا لأنه عبد دون شك
 وصفاته الحميدة الأخرى كلها صحيحة صادقة
 أنا عبد الرحمن كناس (خدام) باب دار محمد ﷺ
 أتمنى آملا ألا يبعدنى الله تعالى عن هذا الباب

‘ ٣- لا عودة لك بعد الموت ’

ليست لك العودة إلى الدنيا مرة ثانية
اليوم وقتك إن كنت تعمل كاذباً أو صادقاً
كل عمل يمر على وقته عبثاً يتحول إلى عنقاء^(١)
والعنقاء لم تقع فريسة فى مصيدة لأحد
إن الماء الذى عبر الفتحة فى الجدول لا يعود ثانية
كذلك لا يعود الوقت الذى قد مضى مرة أخرى
فالوقت الذى قد مضى مثل الميت فى اللحد
و لم يقم أحد أبدا بإحياء الميت بالبكاء
إن كنت صاحب هدف، فأسرع لأن الوقت قصير
لا تكن غافلاً مغروراً بطول هذا العمر وبقائه^(٢)
كل هدف تراه صحيحاً مستصاباً فى قلبك
فإنك ستخطئ ذلك الهدف بغرورك وغفلتك

(١) العنقاء: فيما يزعمون طائر عظيم ضخيم، معروف الاسم مجهول الجسم، لم يره أحد، ومثله طائر ”سيمرغ“ فى الأدب والأساطير الأفغانية.

(٢) الشاعر متأثر بهذه الآية الكريمة: ﴿لَا تَفْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنُكُمْ بِلِلَّهِ الْغُرُورُ﴾
سورة لقمان ٣٣ وسورة فاطر ٥

قطعت "الأيام" ^(١) آمال الناس وهم يأملون تحقيقها
لا تكن فى غفلة عن مكر "حوادث" ^(٢) الأيام
عندما يتحطم فمك بمسدس الموت
فكيف يمكنك إن تثنى "على الله" ^(٣) بفمك المحطم
إن الزوجات النائحات عندما يخاطبن بنواجهن
فإنهن يوجهن حديثهن إليك إن كنت تفهم
لست طفلا صغيرا حتى يعلمك أحد بالقوة والقهر
إنك لعاقل، وكذلك بالغ، وعالم بالأمر أيضا
فكر جيدا فى كل من العمل الطيب والسيء القبيح
أفى هذا تكمن مصلحتك أم فى ذاك تكمن
أطرق برأسك إلى الصدر، وافتح عينيك وتأمل
ولا تصعد إلى الأعلى أكثر فأكثر مغرورا بلا هدف
لا تعلو السماء ولا ترقاها مغرورا بلا هدف
لأنك فى الأصل قد تكونت من تراب الأرض

(١) الأيام: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح والسياق يدل عليها

(٢) حوادث: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح والسياق يدل عليها

(٣) على الله: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح والسياق يدل عليها

وبدلاً عن العمل، لن يكون "هناك"^(١) مثل هذا السؤال:
هل أنت ابن فلان، أو أنت حفيد فلان؟
أحسن إلى نفسك، ولا تكن مغروراً مخدوعاً
بإحسان الوالدة والوالد؛ وبأعمالهما الطيبة
إن العروس التي لا تتمتع بالجمال في ذاتها
ماذا يفعل الإنسان "الزوج"^(٢) بجمال أمها أو جدتها
أوجه هذا الحديث إلى نفسي أنا يا صديقي
لا تكن حزينا، بأنني قد ذكرت اسمك في الكلام
أذكر اسمك واسم غيرك، وأقول لنفسي
بأن هذه العيوب والنقائص كلها عيوبى أنا
إن كل ما أقوله وأتحدث به، أوجهه إلى نفسي
لا شأن لى ولا تعامل، ولا غرض لى مع الآخرين
وكل كلام أقوله، إنما أوجهه وأقوله لنفسي
بأن كل هذه النقائص والعيوب موجودة في نفسي
لو كان في قلبي مكان يسع هذه الغموم
لما كان من داع، لأقوم بإنشاد هذا الشعر

(١) هناك: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح، والسياق يدل عليها.

(٢) الزوج: من إضافتى أنا المترجم للتوضيح، والسياق يدل عليها.

بينما متاعب الموت الشديدة أمامك وبجوارك
فلماذا وكيف لم تمت قبل هذا يا عبد الرحمن؟

” ٥٠ “

‘ ٤ - لا وفاء لهذه الدنيا ‘

لم يثبت أحد وفاء هذه الدنيا أبدا
الجميع يحبون فى هذه الدنيا دون جدوى
كل من يدعى التملك والقراية فى هذه الدنيا
فإن هؤلاء جميعا يدعون باطلا لأن الدنيا ليست ملكا لأحد
إن هذا الفلك فخار خزاف يصنع ويحطم
أوجد كثيرين مثلى ومثلك، ثم أفناهم
كل حجر وقطعة مدر يابس تبدو فى هذا الدهر
فإن كلها فى الأصل رؤوس الملوك، أو رؤوس الفقراء
لا ينبغي لأحد إن يضع مصيدة لمعير أهل الدنيا
لأنه لن يتمكن من صيد طائر ”سيمرغ“^(١) والعنقاء

(١) سيمرغ: بالأفغانية والدرية طائر خرافى موهوم، لم يره أحد، يذكر كثيرا فى الآداب
الأفغانية، وهو كطائر العنقاء فى الأدب العربى، كل منهما معروف الاسم مجهول الجسم،
وجودهما متوهم خرافى من صنع الخيال والوهم.

كل من أراد إقامة صلة الترابط بهذه النفس الفانية
فإنه كمن يربط الهواء بالسلسلة وهو أمر غير مستطاع
إن مصير كل من القمر والشمس إلى الفناء فى النهاية
حيث إنهما كالوردة وليس للوردة خلود وإن كانت توجد دائما
لا تسلك يا عبد الرحمن طريقا خلافاً لطريق العلماء
لم يكن أحد من العلماء أبداً قد فضل حب الدنيا

” ٥٨ “

’ ٥ - الزوجتان ‘^(١)

من كان له زوجتان
من أهل السنة وأيضاً زاهدتان
خادمتان للزوج مطيعتان
بالخلق الطيب متصفتان

(١) ديوان عبد الرحمن بابا ٤، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية پشتو، كابل
١٣٥٦هـ/ ١٩٧٧م وهذه المقطوعة الشعرية لم يأت ذكرها فى ديوان عبد الرحمن بابا
الذى طبع فى پشاور سنة ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ. وقدم له مولانا عبد القادر، رحمه الله
تعالى، وكذلك فى الديوان الذى طبع فى پشاور سنة ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ. وقدم له
الأستاذ سيد رسول رسا.

فحرام بينهما الفرقة والفرقان
خاصا كان ذلك أو من العدوان
هذا مما لزم على الزوج وجوبا
ألا يعود ثانية إلى التمايز والفرقان
”بينهما“ فى المطعم والملبس
وفى البيت والحلية^(١) والحذاء
ولو لم يفعل الزوج هكذا
فقد أحبط عمله مكشوفاً كالبيداء
سيموت ههنا مجنوناً من ناحية
ومن ناحية أخرى سيسود وجهه هناك
فقد ورد هذا الحديث الشريف
إذا كان لأحد فهم وإدراك بهذا..
ذلك الذى يقوم بالتمايز والفرقة
أنا برىء منه، وهو برىء منى
فقد جاء هذا فى كتاب ”المشكاة“
فاذهب واسأل العلماء

(١) المبيت والحلية: ترجمة كلمة ”مكته“ التى يحتمل إن تكون فى الأصل ”مكانه“. بمعنى الحلية، وطبعت خطأ بالشكل المطبوع، ونظراً كذلك لكثرة التصرف والأخطاء المطبعية والإملائية وغيرها فى الكتب الأفغانية.

يا الله احفظ عبد الرحمن
من مثل هذا الذنب والخطأ والعقاب

“ ٦٩ ”

‘ ٦ - الدنيا زاد العقبي ’

طيبة نافعة هذه الدنيا
لأنها زاد العقبي والآخرة
لا تقل المذمة فى الدنيا
اسمع هذا القول واتخذ موعظة
إنه يتم فى سوق الدنيا^(١)
البيع والشراء للآخرة والعقبي
إن فى الدنيا حكما كثيرة
يفهمها ويعلم بها الحكماء
لسو أعطيتها للخصم والعدو
لجعلته على الفور صديقا حبيبا

(١) الدنيا: تأتي فى اللغة الأفغانية بمعنى العالم، والمال، والثروة، والنعيم، والمتاع، والحياة الحاضرة، والكرة الأرضية.

لو تصدقت بها فداء لنفسك
لرفعت عنك البلاء ودفعته بعيدا
لو وضعتها فوق النار
فاحت عنها رائحة كرائحة العود
لو نثرتها فى الصحراء الجرداء
جعلتها جميلة زاخرة بالزينة
لو أعطيتها نذرا للشيخ المرشد
لذهب فى الطريق مسرورا ضاحكا
وعلى مدى حياته فى الدنيا
يذكرك فى الدعاء والمناجاة
يمدحك بالكرم كحاتم الطائي
ويمنحك خطاب السخاء والكرم
إن كل كريم حبيب عند الله
ولو كان فاسقا خارجا عن الطاعة
وكل بخيل عدو لله
ولو كان زاهدا فى الدنيا
إن الدنيا مزرعة للآخرة
وهذا القول صحيح صادق
طلاب الدنيا كثيرون
إن كان فى مقدور أحد العثور عليها عند أحد

ولكن الشهم فى هؤلاء جميعا
هو ذلك الذى يكون كريما وزاهدا
لا عيب فى الدنيا ومتاعها
إن لم يكن العيب فىك
لا ذنب للدنيا ونعيمها
إن لم يصدر الذنب منك
إن الدنيا بحر يحرق
صافيا نقييا كالمرآة
يبدو فيها كل وجه على حقيقته
جميلا كان الشخص أو قبيحا دميما
فيها خطر القضاء على الحياة
وفى الوقت نفسه جوهرة لا تقدر بالثمن
وهى الوفاء بعينه للوفى
وهى الظلم الغليظ بعينه للظالم
من أحد جوانبها ينشأ الألم
ومن جانبها الآخر يظهر الدواء
تعطى مذاق السم فى مكان
وتعطى طعم الحلوى فى مكان
وهو أمر كله متوقف
على مطلب الإنسان ومدعاه

فليكن المتصوفة مشاهدين
يشاهدون عرض أنفسهم
كل ما يقوم الإنسان بعمله سيجده
لأن الدنيا مطيعة الجـزاء
سيقوم عند البعث كما كان
جاهلا كان أو عاقلا
أمسك الفتوى وضعها أمامك
ثم شمر عن ساعدك على التقوى
إنها ليست بالدنيا بل دين
إذا كانت من غير المنهى عنه
يظل المسلم قائما طاعة "الله" (١)
مشمرا رابطا حزام ظهره استعدادا للعمل
مستمسكا بالاجتناب عن الحرام
منهمكا دائما فى أداء الأركان الخمسة
مقرا بكلمة التوحيد
جهرا وخفيا "لسانا وقلبا"
ولأجل القيام بعمل الدنيا
لا يترك صلاة الفرض تقوته

(١) كل ما هو بين علامات التنصيص من إضافة المترجم، والسياق يدل عليه .

يصوم شهر رمضان
ويقوم بأداء الزكاة
وإذا كان فى استطاعته الحج
قام بأداء فريضة الحج
هذه هى أركان الدين الخمس
التى قمت أنا ببيانها
فالذى يسلك هذا الطريق
ذلك الشخص هو من الأولياء
فإذا كان لديه الكثير من أموال الدنيا
فعليه ألا يخاف من ذلك أبدا
لأن المال سىء وضار لهؤلاء
الذين يكسبونه رياء وتظاهرا
إما إن يكون عمله رياء وتظاهرا
وإما أن يكون قد كسبه سرقة
وإما أن يكون قد جمعه ظلما وعدوانا
وإما عن طريق التجارة فى الخمر
ثم إما إن يدفعه فى الخمر
وإما أن يصرفه فى الفاحشة
إما أن يقوم بقتل الناس دون حق
وإما أن يقوم بأكل أموال الناس

يفرض على نفسه عبادة
الملوك والأمراء "والحكام"
يجعل الحق باطلا، والباطل حقا
بسبب التفاسق والرياء
لا يكمن "فى قلبه" خوفا من الله
ولا الحياء والخجل والاستحياء
لأجل "إشباع" بطنه الواحد وحده
يقوم بتدمير ألف منزل
ومن أذى ظلمه وجوره دائما
يكون الناس فى صراخ واضطراب
لا عقل لله، ولا أذن أبدا
ليسمع بها بكاء المظلومين
يجلس متكبرا مثل فرعون
فى كبرياء بلا خوف ولا حذر
يتجه بوجهه نحو معبد الأوثان
"مؤديا" ظهره نحو المسجد
يخالف ذوى الخلق السوى
ويتعد عن ذوى الخلق الطيب
لا يخلج فى خاطره أبدا
أن يتولى عن ذلك، ويتبرأ

لا تقدر لعبد الرحمن
يا إلهى مثل هذا البلاء

“ ١٢٤ ”

‘ ٧- الظلم والجفاء ’

تعال، لا ترتكب ظلما فى حق أحد
الحياة قصيرة، تضيع فى “ذلك”^(١) يا عديم الوفاء
لا أحد يباق دائما فى العالم أبدا
كلهم راحلون سائرون اليوم أو غدا
هؤلاء الأصدقاء الذين يرون لك اليوم
سيفنون جميعهم بعد يومين اثنين
إن كنت تحب مشاهدتهم فانظر إليهم
لأنهم عندما يفنون، كيف فى مقدورهم أن يظهروا ثانية
الأوراق فى الخريف عندما تنفصل عن الغصن
لن يستطيع الحكماء بحكمتهم إعادتها إلى الأغصان ثانية
عندما تتساقط القطرات على الأرض من السماء
لا تصعد ثانية من الأرض إلى السماء

(١) كل ما هو بين علامات التنصيص من إضافة المترجم، والسياق يدل عليه.

لا تتخيل ولا تظن أن تعود مرة أخرى
تلك الدموع التي قد فارقت العيون
فى كل يوم من الأيام تطلع شمس جديدة
والشمس التي تغرب "اليوم" لا تشرق ثانية
إن كان دخول الجنة بفضل الله لا بعبادته
إلا أنه يجب على كل عبد القيام بأداء مسئولية العبادة
لو قمت لإرضاء النفس بتحمل مائة مشقة
لن تنفعك مشقة واحدة منها غدا يوم الحشر
لو امتلكت العالم وألقيته كله فى بطنك
لن تحوز بالتذكر لا فى الترحم ولا فى الدعاء
لو أعطيت حبة من الحبوب صدقة لفقر جائع
فإن تلك الحبة ستكون زادا لك فى الآخرة
لو أعطيت قطرة من الماء لظمآن
ستتحول إلى بحر من الماء يحول بينك وبين النار
لو ركعت وانحنى رأسك طاعة لله مرة واحدة
ستكون يوم القيامة أعلى مقاما من كل الناس
هذه سوق لمن يريد البيع والشراء، والحصول على الربح
لا يوجد فى العالم الآخر ربح، ولا بيع ولا شراء
اليوم دور الأصدقاء إذا كان لأحد شئ من الفهم
أن يقدم أحد الأصدقاء نفسه فداء لصديق آخر

إن كانت "هناك" حياة، فإن حياة الدنيا الحقيقية
هى أن يمضى عمر الإنسان بالألفة والضحك
احفظنسى يا الله فى أمان من حياة
تغتاب فيها أنت يا صديقى شخصا وهو يغتابك
تناول السم أفضل سواء كان بالصلح أو بالاستشارة
من تناول السكر فى "اضطرابات" الفتنة والغرغاء
وامتلاء البطن بالتراب وقش العيدان بلا غم، أفضل
من امتلائه بالحلوى المطهية بعيدان الغم والقش
الظهر المكسور بالمشقة والحنّة والكدح أفضل
ممن يربط فوق ظهره صرة مملوءة بالحرام
الأعمى الذى لا يرى بعينه شيئا، أفضل
من الذى يفتح عينيه ناظرا إلى غريب محرم عليه
من المفضل أن يكون المرء أبكم يائسا محروما من البيان
لا أن يصير لسانه يتحدث بالقول السيء
من الأفضل أن يكون الإنسان أصم ولا يسمع بأذنيه شيئا
لا أن يعود أذنيه بسماع السيء من القول
لو أتى الشيطان والحيوان المفترس إلى جنبك أفضل
من أن يأتى - لا سمح الله - إلى جنبك إنسان سيء

الشخص الذى يستأنس بمجالسة الأفعلى
أحسن حالا من الذى يستأنس بالجلوس الجاهل^(١)
إن كانت فى ذلك صعوبة فإن الصعوبة كلها فى إصلاح القلوب
لأنه لا صعوبة فى ربح هذه الدنيا وخسارتها وهو أمر سهل
إن كلا من الحصول على ربح الدنيا أو خسارتها أمر سهل
ما فضح الله وما ابتلى أى إنسان "بهذا" الأمر السهل
ما تم ذلك المطلوب والمهدف الخاص
الذى يتأذى به قلب أخ لك أو عزيز^(٢)
أطعمة شهية يأكلها إنسان، وينظر إليها آخر
فهى ليست بأطعمة بل هى سموم "قاتلة"
ينبغى أن تعمل لرضا الآخرين حيناً وحيناً لرضا
ولا ينبغى السعى للعمل دائماً لتحقيق رضاك
إذا كان السرور فى أمر مؤقتاً، وحزنه دائم
فإن العاقل لا يقوم بمثل هذه الأعمال
انظر إلى غيرك كما تنظر إلى نفسك
فإن لكل إنسان نفسه ورغباته مثل ما لنفسك رغبات

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى، للضرورة المعنوية.

يتبغى للمنصفين أن يزاروا العدل عملياً
لا أن يصغوا إلى إيجاعات الطمع والهوى
تدور فى قلب الإنسان وخاطره أشياء كثيرة
عليه ألا يظن هكذا أن كل ذلك جائز وحلال
على المتدينين أن يلتفتوا إلى دينهم
فأشخاص يفكرون صواباً، وآخرون يفكرون خطأ
ما قدر الله أن يرتكب الإنسان خطيئة بيده
ما هى رابطة نسبة الخطأ إلى العطاء
ليس الأمر على أن الناس كلهم سواسية
بل إنهم درجات.. أعلى، وأوسط، وأدنى
احترام كل واحد منهم وتوقيره على قدر مقامه
لن يجد أشخاص عاديون من الناس مقام الأمراء
فأنا عبد الرحمن لا أشتكى لذلك من أحد إلى أحد
لأنه ليس لى من غيرك أيها المحبوب صديق ولا عدو

” ١٦٤ “

‘ ٨ - الجور والدموع ’

حينما تقول لى لماذا تذرف الدموع؟
ألا يبدو لك جورك وظلمك أيها الحبيب
أنت تجور وتجفرو، وأنا أبكى يا محبوبى
فإن لم يكن منك ذلك، لن يكون منى هذا
إن كان رسم المعشوق وعادته مثل رسمك
فمن أين لطائفة العشاق أن تفرح بالسعادة؟^(١)
إن خصالك هذه لو استمرت على هذا المنوال دائما
فإنه لا يبدو لى دواء لعلاج القلوب المجرحة بالألم
أحدهما غضبك، والآخر طغيان أهل التنافس والرقباء^(٢)
كل منهما يقتلنى بدوره.. هذا حينا، وذاك حينا
كل من سلك طريق العشق^(٣) وإن كان أفلاطون بعينه
فإننى أراه مجنونا.. سواء كان ذلك اليوم أو غدا

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٣) العشق: هو الإفراط فى المحبة، وفى مدلوله الصوفى: عشق الخلق للحق المقرب على عشق

الحق للخلق بحجة قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة ٥٤ والعشق عندهم جامع
الكلمات الإلهية كلها، وهو من المواهب وليس من المكاسب.

افرض بأننى أصبحت على كلام الناس كلما يحرس حارتك
فإن الكلب لا يجب أن يموت من عذاب الفراق
لا أطلب شيئاً أبداً يا عبد الرحمن لأن طلبى أنت أيها المحبوب
إننى قد رضيت بذلك، والأمر بعده متروك لرضاك أيها الحبيب

“ ١٧٢ ”

‘ ٩- العلماء نور وضياء ’

إن العلماء ضوء هذه الدنيا ونورها
العلماء زعماء كل العالم وقادته
من أراد طريقة الوصول إلى الله ورسوله
فإن العلماء مرشدو هذه الطريقة^(١)
إذا كان عالم الكيمياء يبحث عن الكيمياء
فإن الكيمياء هى صحبة العلماء
بصحبة العلماء يتحول الإنسان إلى ذهب أحمر
سواء من كان حجراً أو مدراً من طين الصحراء
إن الجهال من الناس مثل الموتى
أما العلماء فهم كالمسيح عليه السلام

(١) العلماء: وفى المأثور: العلماء ورثة الأنبياء .

الأولياء الذين يعود الميت حيا بنفسهم
فإن العلماء كلهم مثل هؤلاء الأولياء
كل من ليست لديه درجة من العلم
فإنه ليس بإنسان، بل هيكل بلا روح
أنا عبدالرحمن عبد مطيع لكل عالم
أعلى كان فى العلم أو أوسط أو أدنى

“ ١٨٠ ”

‘ ١٠ - صيد العنقاء ‘

إن أردت أمنية فؤادك من أحد
فاجعل نفسك صيادا لطائر العنقاء
ضع على رأسك قلنسوة حباب البحر
واركب جواد الهواء وتقدم بعزم
وانهض قائما للبحث مثل خضر
واشرب من ماء الحياة^(١) للخلود

(١) ماء الحياة: كان القدماء يعتقدون أنه ماء ينبوع فى بحر الظلمات، من نهل منه عاش أبدا. ويقال إن الإسكندر قد سمع بذلك، فركب البحر بصحبة خضر الكلب ليشرّب منه، ولما بلغه رآه فى الظلام كأنه خيط من فضة، ولما تقدم إليه للشرب منه غاب عن بصره، فالتفت إلى رفيقه خضر الكلب فلم يجده أيضا. وذكر ماء الحياة كثير الورود فى الشعر الأفغانى الصوفى على أنه بمعنى المعرفة.

ارفع قدمك من الأرض بعزيمة
وضعها مثل عيسى فى أعالى السماء
تلمذ على المعلم والمربى الذى
يقوم بتربيتك وتعليمك الكيمياء
هذا الذى بينته لك بوضوح
لو حصلت عليه وتعلمته كله
حينذاك اطمع يا عبد الرحمن
فى الوفاء بالعهد من الحسان

“ ١٨٧ ”

‘ ١١ - الدنيا فانية ’

هذه الدنيا ليس لها الوفاء
ليس لها الوفاء ليس لها الوفاء
ليس لها وجه ولا رقية
كمدر يابس من طين الصحراء
فى وقت من الزمن تستقبل بوجهها
وفى وقت آخر تستدبر بظهرها
فى وقت من الأوقات تكون ملكا لك
وفى وقت آخر تكون ملكا لى

فى ساعة من الساعات يظهر ألمها
وفى ساعة أخرى يظهر دواؤها
فى حين من الأحيان يبدو خوفها
وفى حين آخر يبدو رجاؤها
فى ساعة يبدو بقاؤها
وفى ساعة يبدو فناؤها
فى وقت من الأوقات تكون ساكنة
وفى وقت آخر تكون صارخة
فى حين من الأحيان تضحك
وفى حين آخر تذرف الدموع
فى ساعة من الساعات يبدو وفاؤها
وفى ساعة أخرى يبدو جفاؤها
فى وقت من الأوقات يبدو إفلاسها
وفى وقت آخر يظهر غناؤها
إنها ليس لها ظهر ولا شكل
حينما تتحول إلى هذا، وحينما إلى ذاك
ما ابتلى الله أحدا يا عبد الرحمن
بهذا النوع من أنواع البلاء

“ ٢٠٠ ”

‘ ١٢ - الفرح والهم ‘

لم أفرح بفرح أحد من الأصدقاء قط
واسود لوني من غم كل صديق وهمه
إذا كنت أنا لا أطمع ولا أتوقع من غيري شيئا
فإن غيري يطمع ويتوقع مني كثيرا
إن كان أخى، أو عزيزى، أو صديقى
فإن كل واحد من هؤلاء يطلب طلبه
فى كل بيت مرضى لى يرفعون أثين الاستغاثة
ولا أقدر بمد يدي لتقديم الدواء لأحد منهم
إن كل الأمور فى الدنيا تنسم بالدنيا
ماذا يستفيد منى أحد حيث لا أملك الدنيا
إن كان بيتى كائن فى القرية فإننى أعتقد
أنه ليس بيت، بل هو قبرى فى الصحراء
إن الذين لا يتم بهم عمل ولا ينقص بهم عمل
فمن الذى سيقوم بالتعامل مهم بالضحك، ولماذا؟
الأصدقاء الذين لا ينفع بعضهم بعضا
فإن الغريب أفضل من هؤلاء الأصدقاء
إن الإقامة فوق الأرض الساخنة مستحيلة
فكيف يمكن أن يعيش الصديق مع عبد الرحمن؟

‘ ١٣ - عبدك ملك ‘

إن كل عبد من عبيدك ملك
والعامى لديك يجلس مكان الخاصة
متى يكون ناضجا من يدعى النضج
الناضجون فى هذا الدن غير ناضجين لديك
إن نظره وبصره يكون على الحمية والشهرة
من لم يكن قد سمع اسمك الشهير
يصير من مقامه بلا مقام^(١) دائما
كل من يسعى منهم ويبحث عن مقامك
إن لم يفرق فى دمائه كالوردة
فإنه لن يرى وجهك الوردى اللون
الذين ينتظرونك آملين كل صباح ومساء
فإن صباح هؤلاء الناس ومساءهم واحد^(٢)

(١) مقام: الصوفى يسلك طريقا حتى يبلغ المعرفة الإلهية، وهذا الطريق ينقسم إلى منازل يسمى كل منها بالمقام. ولهذه المقامات أسماء خاصة، ومدلولات معلومة مصطلح عليها، كمقامات التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل. فمقام آدم فيما قيل التوبة، ومقام نوح الزهد، ومقام إبراهيم عليه السلام التسليم، ومقام موسى عليه السلام الإنابة، ومقام يحيى عليه السلام الخوف، ومقام محمد عليه السلام الذكر.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كيف يمكن أن يؤثر فى قلبه كلام آخر
كل من يصل الى أذنيه كلامك العذب
ينسى كل أنواع السكر والنشوة الأخرى
كل من يتجرع الخمرة من كأسك
إن مصيدة ضفائرك السوداء فتحت العالم
ولست أنا أسير شبكتك الوحيد
أنا عبد الرحمن الأسير أدعو وأسلم على
كل من يبلغنى سلامك أنت

“ ٢١٩ ”

‘ ١٤ - مشاهدة الوجه ’

كل من شاهد بعينه وجهك
فإن وجهه يميل دائما إلى ناحية وجهك
يتنازل عن حياته وماله عديم الدماغ
الذى تصل إليه رائحتك ، وتمر مرورا بدماغه
إن تتكرر فإن خلق كبريائك ليس فى غير محله
حيث إن قامتك عظيمة كبيرة مثل هذه العظيمة والكبرياء
جاء الربيع ، والناس يتنزهون فى الحديقة
بينما جعل الله حارتك حديقة لنزهتى

ليس فى إمكنانى أن أتنفس من نفس عيسى
عندما يتم مسح الفم للبيان بمحدثك
وبهذا يسيل الصديد ويجرى من عيني
حينما أتذكر قامتك اللطيفة المرغوبة
يكون قلبه فوق النار كالحرمل دائما
ذلك الذى تجلت له خصالك وجمال وجهك
شوكة العقرب تغرز فى قلبه وتبقى فيه مكسورة
من رسم فى قلبه محيا وجهك منقوشا
لماذا تجره أيها الحبيب إلى السلسلة لغله فيها
تكفى شعرة من شعرك لقيد المجانين بغل عشقك
يرمى نفسه بنفسه من فوق قمة الجبل
من يقوم بإدخال صورة وجهك إلى قلبه
إن حدثت مرة بأنك قد أصبحت لى وأنا أصبحت لك
فإن بحثى عن جمال وجهك ليس بذهاب عنى
التهبت الوردة نارا من حرارة تأوه البلبل يا عبد الرحمن
لأن الحبيب لا يطيع منقادا لضوء صراخك الحار

“ ٢٣١ ”

‘ ١٥ - عادة الإيذاء ’

إن كان طبعك مؤذيا مكذرا للقلب هكذا
فماذا سيصرخ بالسعادة من يطلبك بكثرة
واحسرتاه! إنه يسمع ولا يبدو للنظر
لأن حسنك ولطافتك كحسن الملاك ولطافته
لا يلتفت مرة أخرى إلى وجه آخر
كل من شاهد ورأى جمال وجهك
الله يعلم أنك صديق من منهم
لأن لك مائة ألف صديق في كل جانب
يلعب عدد العشاق في بلاطك إلى الحد
الذي لا يوجد فيه مكان لوضع القدمين^(١)
إن شاءت إرادة الله، فلن يظهر عاشق متيم آخر
يعشقك مثلي أنا المغير المتواضع
لا تظن بي ظنونا متهما إياي بظن آخر
فعلى مدى العمر كله أكون في انتظارك
إن الحسن من العشاق، والعشق من الحسن
إنك أنت معشوقى، وأنا معشوقك

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

أنت مطلوبى، وأنا طالب لك
أنت طيبى، وأنا مريضك العليل
إن كنت أنت وردة الربيع الناضرة
فأنا عندليك فى حديقة شقائق النعمان
سواء أكان جورا أو جفاء أو ظلما
فقد قبلت منك ذلك كله دفعة واحدة
إن كان أحد يبيع الجور والجفاء بالثمن
فلأننى أشترى جورك وجفاءك
لو ضاعت شعرة واحدة من صفائك
سأقدم نفسى فداء لكل شعرة من شعرك
لقد جربت وامتحنتى مائة مرة
ومع هذا - واحسرتاه - لا تثق بى حتى الآن
أتنازل أنا عبد الرحمن من الأمور الأخرى
فلقد شمرت الآن للقيام بالتعامل معك

“ ٢٤٦ ”

١٦ - الحبيب زينة الدنيا

من يطلب فى هذا العالم حيباً فهذا حبيب^(١)
حبيب هذا أم أنه جمال هذا العالم
طيف ضفائره قد أحاط بقلبى وخاطرى
أم أن ثعباناً قد أحاط بكُنزِ ثمين
إن هذا العالم قد خلقه الله من العشق^(٢)
فهذا العشاق أب كل المخلوقات
ليس فى هذا العالم عمل أفضل وأجمل من العشق
فهذا العشاق أجمل من جميع الأعمال
وعليه فإن البلب لم يكن قد ذكر الرردة على لسانه
إن كان يعلم بأنها شوكية وليست بوردة
ليس لك المجد إلى هذا العالم مرة أخرى
لا فرصة، لا فرصة، فهذه هى الفرصة
فليُنظر عمر الحباب، وكم عمر الحباب يا ترى؟
إن أراد أحد أن يقوم بعد سنوات العمر، فهذا هو العدد

(١) الحبيب (بار) ومعناها بالأفغانية الصديق والحبيب والمعين والنصير وعند الصوفية أنه عالم الشهود ومشاهدة ذات الحق.

(٢) العشاق: لمعرفة العشاق عند الصوفية راجع ص ١١٨ هـ ٣.

انظر إلى عبد الرحمن وخيال المجنون^(١) فى خاطرك
فإن هذا هو الذليل الضعيف فى عشقك

“ ٢٥٤ ”

‘ ١٧ - أنا المفتون ’

الذى يتاجر برأسه وحياته فى سبيلك
لن يكون مفتونا متيما آخر غيرى
لن يوجد فى العالم مفتونا آخر مثلى
ولن يكون فيه معشوقا آخر مثلك
إننى قد قبلت الجور والجفاء منك
لأنه من المستحيل أن يحل الضحك محل البكاء
إن الكون والمكان من غير وجهك
لن يكون زادا طيبا لى لا هذا ولا ذاك
لن أقبل الفراق والبعد عنك بأية حال
حتى تنفصل روحى عن هيكلى وقالبى

(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى الذى يضرب به المثل فى العشق والمجبة. وهو شاعر غزل من أهل نجد. وهو قيس بن الملوح العامرى، توفى حوالى ٦٨٨م. ويعرف بمجنون ليلى نسبة إلى ليلى العامرية التى كان يعشقها، ويكثر من ذكرها فى شعره، رفض أهلها أن يزوجه بها، فهام على وجهه ينشد الأشعار حتى مات. جمع شعره فى ديوان.

كما يتقدم الإمام والمقتدون به خلفه
كذلك أنا فقد اقتديت بك واتخذتك إماما
إننى أرى أن العالم كله يعشقتك
ملكا كان فى هذا العهد أو معدما محتاجا
ليتبنى تعطينى وثيقة التأمين
لأجل الوفاء بتنفيذ ما تعدنى به غدا
إننى ما عشقتك بنفسى دون باعث أو سبب
بل إن نداء ذلك كان من جانبك
إننى قد عشقتك منذ يوم الأزل
ولم أبداً ذلك ابتداء من هذا اليوم
لو مات عبد الرحمن شهيدا بسيف عشقتك
حينئذ قد أدى ما على عاتقه من الواجبات
انظر صورة عبد الرحمن ذات اللون الأصفر
لأنه يذرف الدموع لأجلك دائما

“ ٢٦٦ ”

‘ ١٨ - حارتك هى المأوى ’

كل من يتخذ حارتك مأوى له
فإن مقامه يعلو فوق الأفلاك

وتبدو له نفسه ملكا عظيما عندما
يجعلها درويشا فقيرا^(١) عند بابك
وعندما يصبح درويش بابك
يجعل بعد ذلك ظهره للسلطنة
لا يقع بصره إلا على وجهك
لا على الأرض ولا على السماء
لا تبدو مودته إلا لوجهك
لا لأمر الدين؛ ولا لأمر الدنيا
فى سبيل مودتك ومحبتك^(٢)
يضحى بالروح والمال والمتاع

(١) الفقير أو الدرويش (مُغداً) بالأفغانية هو الفقير إلى التحليات الإلهية وفيوضات الحق الباقية عند أهل التصوف الإسلامى.

(٢) محبتك: المحبة حال من الأحوال عند الصوفية، مقرونة بالعشق، وهى مرحلة نهائية فى التصوف. وهم يقولون: لا يوجد فى عالم الوجود إلا المحبة والعشق، ولا سبيل إلى إنكار العشق إذ لا وجود فى الوجود إلا له. وشاعر التصوف يقول: إنه لا يرى فى الكون والمكان سوى العشق، ولا ظاهر ولا باطن إلا هو. والمحبة أنواع ودرجات.. المحبة العامة التى هى من إحسان الله إلى العبد، لأن الإنسان مجبور على محبة من أحسن إليه. ثم محبة الصادقين والمتحققين التى تنبعث من نظر القلب. ثم محبة الصديقين والعارفين. وهى نتيجة النظر والمعرفة الكاملة بأن الله علة العلل، وهو بلا علة.

وفى سبيل حبك وودك
ينهب ما فى الدنيا من متاع الناس^(١)
يبدى رضاه برضاك عنه
ويترك فى سبيل ذلك مدعاه
كل جانب يتجه إليه وجهك
يوجه هو الآخر وجهه إليه
إن أبديت الجفاء لشخص ما
يبدى هو أيضا الجفاء له
إن أظهرت الوفاء لشخص ما
أظهر هو كذلك الوفاء له
إن بكى فى وقت ما فى حياته
فإن بكاءه لأجلك وحدك
وإن ضحك لحظة ما فى حياته
فإن ضحكه معك أنت وحدك
وإن كان غرضه الوصال واللقاء
فإنه ينشغل بمشاهدة حسنك
وإن كان غرضه التحدث والحوار
فإنه ينشغل بالذكر والثناء عليك

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

هذا هو مقام الصادقين^(١) ومنزلتهم
لمن أراد أن يعشق عشقا صادقا^(٢)
والعشاق فى عشقهم ومودتهم
يفعلون ما يقوله عبد الرحمن

“ ٢٨٣ ”

‘ ١٩- زورق من الورق ’

من يضع أمله فى عمران هذه الدنيا ومتاعها
فإنه يسير فى البحر فى زورق من الورق
لم يتمكن أحد أن يستحث فرس السماء ليسرع
كيف يمكن لأحد أن يركب فوق ظهر الريح
الذئب لا يتعود بأدب السلوك الإنسانى
ولا أمل كذلك فى أن تكون للأفلاك مروءة
إن أمل الوفاء من الفلك باطل
متى يقوم إبليس بالوفاء لبنى البشر؟

(١) مقام الصادقين: لمعرفة المقام فى التصوف راجع ص ١٢٤ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) عشقا صادقا: لمعرفة معنى العشق الصادق راجع ص ١١٨ هـ ٣، ص ١٢٩ هـ ٢، من هذا الكتاب.

إن الدهر لا يميز فى دورانه بين الإسلام والكفر
متى يميز الأعمى بين الأسود والأبيض؟
لقد شاهدت علامة الدهر وأثره بالعينين
وهى أنه فى كل لحظة يخلق الآلاف ويفنى الآلاف
لا يبدو لى أمل على الإطلاق من دوران الأيام
لأنها تعمل وفقا لفرصتها فى الدوران والمروء
لن يكون أحد قد شاهد ورأى فى حياته
تلك الأعمال التى تقوم بها ضدى كل ساعة
فلو وضعت باقة الزهور الناضرة فى المنديل
فإن حظى النحاس يجعل منها هناك شسوكا
لو مددت يدى إلى الذهب يتحول ترابا
ولو تمنيت التراب لأعرض واستغنى
إن الفراق أصبح بلاء وابتلاء من عند الله
لا فائدة من بكاء قلبى لأجل الرؤية واللقاء
من أين للعاشق هذا الكم الهائل من الصبر
لكى يقوم بتأجيل وعد اليوم إلى الغد
لو ألبستنى ثياب النار يا من سلبت قلبى
فإنها تعجبنى وتروق لى كأنها ثياب من دياج

إن كان أحد يوجه إلى الملامة^(١) فى عشقى
أعتقد أن هذا كله ثنائى ومدحى
إلقاء اللوم يلىق بالعاشق وهذه عادة
لأن الناس الأصحاء يضحكون من المريض
بون بعيد بين العشق وبين الغيرة والشرف
كيف يمكن للشخص أن يسرق سرا فى وضح النهار
إن كنت أنا أطمع فى الورد من حسن الطالع
فإنه يعطينى أنا الضعيف الشوك بدل الورد
إن كنت قد اعتزلت الناس فى العالم حفاظا على العشق
فإن الزمن يفضحنى بإفشاء ذلك فى العالم
يكون وجهه فى الدنيا منورا مضيئا دائما
من كان يثنى على حبيبه ويمدحهه كالبلبل
هذا جواب ما قاله الشاعر دولت اللوانى يا عبد الرحمن
”ليت الحبيب يعطينى خمرة اللقاء على التسوالى“

“ ٣٠٣ ”

(١) الملامة: فى مفهومها الصوفى أن يقطع الصوفى كل ما بينه وبين الخلق من أسباب، والصد
عن الحياة وما يتعلق بها من أمل حتى لا يرى سوى الحق ولا تكون صلته إلا بالذات
الأحدية.

٢٠- العاشق والسهر

كيف يمكن أن ينام كائن حى وهو يعشق؟
وكيف يمكن أن ينام من كان مهموما كالمجنون؟^(١)
الإنسان معرض للرحيل من العالم فى كل لحظة
فمن كان معرضا للرحيل كيف يمكنه أن ينام؟
ومن كان يفارق حبيبته يوم غد
فكيف يمكنه النوم وإن كان متألما مائة يوم؟
إن الله تعالى قد خلق العشق من النار
فمن كان موطنه النار، كيف يمكنه النوم؟
ظمان الماء لا يمكنه أن ينام أيضا
فمن كان ظمان اللقاء والرؤية كيف يمكنه النوم؟
لايستطيع العاشق أن ينام من جور أهل التنافس
فالذين كان الشيطان عدوهم كيف يمكنهم أن يناموا؟
ليس فى مقدور سجين العشق المجازى أن ينام
فمن كانت الضفائر حبل طوقه كيف يمكنه النوم؟

(١) المجنون: المراد من المجنون مجنون ليلى العامرية، وهو قيس بن الملوح العامرى الشهير فى الآداب العالمية بتفانيه فى حب محبوبته التى يذكرها فى شعره بكثرة راجع ص ١٣٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

ينام ويضحك من كان بلا هم وغم يا عبد الرحمن
من كان مهموما مغموما مثلك كيف يمكنه إن ينام؟

“ ٣١١ ”

‘ ٢١ - النوم والهم ’

من كان فى عينيه تراب كيف يستطيع النوم؟
من كان فى قلبه هم الحبيب كيف يستطيع النوم؟
العاشق لا يستطيع النوم يجوار الحبيب أيضا
فمن كان حبيه فى ديار أخرى كيف يستطيع النوم؟
يستطيع النوم فى الدنيا من كان غير عاقل
فالكائن الحى المتصف بالذكاء كيف يستطيع النوم؟
أى طالب وجد مطلوبه وحصل عليه فى النوم
فمن كان كثير الطلب كيف يستطيع النوم؟
لم يقم أحد باللقاء والرؤية بالعين المغمضة
فمن كان مطلبه اللقاء والرؤية كيف يستطيع النوم؟
لا يوجد طريق أصعب من طريق الموت
من كان أمامه مثل هذا الطريق كيف يستطيع النوم؟
كل نظرة من نظرات الأحباب سيف عَلى
فكل من قطع بسيف عَلى كيف يستطيع النوم؟
من لسعته العقرب كيف يستطيع النوم؟
ومن لدغته الأنعى السوداء كيف يستطيع النوم؟

أنا عبد الرحمن عبد الحبيب وخادمه
من كان عبدا وخادما كيف يستطيع النوم؟

“ ٣٢٠ ”

‘ ٢٢ - الحب لغير الله ’

إن الكائنين الأحياء الذين يحبون غير الله
فإن حب هؤلاء جميعا فى غير محله
إن حب غير الله وعشقه داء
وإن كان يحب الربابة والنأى دائما
إن كل مستبد برأيه حين يحب مستبدا آخر مثله
فإن هذا النوع من الحب لون من الحماسة والجهل^(١)
إن أحب الإنسان وعشق حيوانا
يكون فى نتيجته مسلوخ اللحية مقطوع الثياب^(٢)
يصعب الرحيل من هذه الدنيا إلى تلك الدار
على كل من يحب هذه الدار ويعشقها
لن يتحول طماع المال والمتاع إلى شمعة أو فراشة
إنه يحب الجمال كالذبابة من بعيد

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

من يسعد بظلل الضفائر السوداء
كيف يمكن بعده أن يعشق العنقاء؟
أنا عبد الرحمن أقوم بإتباع الرسول ﷺ
لأن سالك الطريق يحب مرشد الطريق

“ ٣٢٨ ”

‘ ٢٣ - العرش والتاج ’

إن كان أورنك زيب^(١) يقوم بتزيين العرش والتاج
فإن الموت سيقوم بالهجوم عليهما ونهيهما
وستبقى ذكراه في الدنيا طيبة كانت أم سيئة
سواء قام بأعمال كسرى أو الحجاج
سرى الماء في العين فأصبح نارا للقلب
فكيف يمكن لأحد أن يعيش مع مثل هذا الطبع؟
إن الفراق يفعل بقلبي ويؤذيه بأعماله
كما يفعل الباز^(٢) بطيور القطا والدراج من الأعمال

(١) أورنك زيب: أبو المظفر عبي الدين عالمكير (١٦١٨ - ١٧٠٧م) الملك الجبار السادس في الأسرة الملكية المغولية في الهند وثالث أبناء شاه جهان، حكم من (١٦٥٨ - ١٧٠٧م)، اتسعت الإمبراطورية في أيامه.

(٢) الباز: أو البازي جنس من الصقور تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذناها إلى الطول، ومن أنواعه: الباشق والبيدق.

حينما خرجت دموعى وتدفقت من بحر فؤادى
خرجت كما تخرج النار الرطوبة من اللحم المشوى
إذا كان الآخرون فى حاجة إلى ضوضاء الفرح
فأنا المغموم لم أدر بابتهاج الاحتفال بالعيد^(١)
كل سهم ينطلق من شبكة القضاء
فإن الزمن يجعل قلب عبد الرحمن هدفًا له

“ ٣٣٥ ”

‘ ٢٤ - صحبة الوضيع ’

صحبة عديمى الإحساس بالألم يجعلك عديم الإحساس به
وصحبة عديمى المروءة يجعلك جبانًا عديم المروءة
إن الصحبة لا تكون عديمة التأثير كما جاء فى الحديث^(٢)
الزعفران يجعل الملابس أيضًا صفراء كالزعفران
كل أداة من أدوات المنزل لو وضعها الإنسان على الأرض
لجعلتها تلك الأرض وحولتها من جنس غبارها

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) لعله يقصد هذا الحديث النبوى الشريف: ” مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك؛ ونافع الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن يتنازع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا. ونافع الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا متنتة “ رواه البخارى ومسلم.

ما جعل الله إنسانا يذهب إلى مجلس الباكين فى المأتم
فالأهات تجعله فاترا باردا وإن كان صحيحا سليما
لو بعدت التفرقة والنفاق من بين الناس يا عبد الرحمن
فإن المعشوق والعاشق يتبادلان الدلال بتلطف

” ٣٤٠ “

‘ ٢٥ - المفخرة بالكنوز ‘

إذا كان الملك يفخر بالخزانة الملكية
فإن العشاق يفخرون بسيماء المحبوب
إن الدراويش قد وجدوا فى ملايسهم الصوفية
حظ السعادة التى يجدها الأثرياء فى ثروتهم
إن الله تعالى قد منح الفراش فى النار
تلك الحياة التى يعيشها الليل فى روضة الأزهار
ما بدلت الأيام السعيدة لإنسان بالأيام السيئة
فى وصاله يفكر فى أمر الهجران والدعاء والترقب
إن بطن المرقد وبطن الأم فى المعنى واحد
إلا أنه يصير لأحد لحدا مظلما وللآخر سوقا رابحة
حينما ترضى مشيئة الله على غرق سفينة
فإنه متى تجدى وحدة القلوب هناك؟

إن الوجه الذى لم يخلق من بطن أمه جميلا
يضيع عبثا ما تبذله المشاطة من جهد لتجميله
الحبيب يقوم من نوم الدلال باحثا عنه
عندما يقوم الفلك بإيقاظ حظ العشاق
من غيرك يحترق دائما، وهذه هى حالته
كالشمعة التى يقوم الشخص بإشعالها فوق المزار
طريق سير كل من النشوة والعقل واضح
كل إنسان يسير على ما فيه من النشوة والعقل
من المستحيل أن يترنم الغراب بنغمات البلبل
لكل نشيد من الغناء صوت يصدر من وتره الخاص
إن عبد الرحمن ليس بتاجر أحمق من غير خيرة
أن يبدل متاع الدين وسعادته بالدينار

” ٣٥٢ “

’ ٢٦ - التقدير والتدبير ‘

ماذا يفعل العاقل والعالم إزاء الحظ إن أصبح سيئا؟
وماذا يفعل الورد والدعاء والتقرب والحكماء عند ما يحل القضاء؟
إن الوالدة والوالد يطلبان من الله تعالى ابنا صالحا
ماذا تفعل الوالدة والوالد إن أصبح الولد سىء الحظ منحوسا؟

متى يفارق الحبيب حبيبه بقوة يده (عن رضا)؟
ماذا يفعل الحبيب والصديق عندما تعجز اليد عن عمل شئ؟
ليس الدعاء على أمر أو له بفاعل شئ لأن الفاعل هو الله
والأمر الذى لا يريد الله، ليس الدعاء له أو عليه بفاعل شئ
ليس فى مقدور الإنسان أن يكسب الحظ بالقوة والذهب
ماذا يستطيع القادر أن يفعل فى إنجاز هذا العمل؟
يا عبد الرحمن أصبحت الفراشة فراشة حين احترقت
ماذا يفعل نور الشمعة فى ذلك؟ .. إنه لا يضحك ولا يبكي أحدا

“ ٣٥٨ ”

‘ ٢٧ - الدموع وغسيل الوجه ’

إن دموعى التى تغسل هكذا كثيرا
إنها تتحمل هذه المشقة كلها لتبقى وجهى
إن الذى أسال العشيق دموعه مدرارا
يبدو وجهه بين العشاق مغسولا^(١)
سيرى شق صدر العاشق بوضوح
من أمال برأسه إلى صدره وفكر^(٢)

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) فى ترجمة هذه الشطرة من البيت شئ من التجاوز والمجاز.

حينما تقبل الشمعة نار العشق فوق رأسها
فكيف للفراشة أن تحتج على حرق نفسها؟
الوردة لا تتحدث بشئ وهى جالسة تغرق فى الدماء
فلماذا يتحدث البلبل ويجادل بالقول عبثا؟
إن كنت أنا أتمنى الموت من غير حبيب فلست ملوما
إن الفراق يحير الإنسان بحيث يتبرأ من حياته
لم يعثر أحد على المعشوق بتحمل المشقة فى سبيله
لعل الله يتفضل على عبد الرحمن بالعثور على معشوقه

“ ٣٦٥ ”

‘ ٢٨ - الإغارة والوفاء ’

إن لم يغر الحبيب على العشيق ولم ينهبه بجفائه
فإنه لا يتعامل مع أحد أبدا بالود والوفاء
لو قدمت الرأس فداء للقلبة فإننى أعلم
أنه لن يقبل ضعفى وتواضعى هذا أبدا
من كان سائرا على طريق يرتضيه وهو مجبول عليه من أمه
فإنه لا يقبل رضا الآخرين ولا يقدر رأيهم
لو لم يحصل على مدعاه وما يطلبه من المطالب
فإن الحسان لا يتعاملن على لسان خضر
لو دعوت له بطول العمر أكثر من مائة مرة
فإنه لا يلتفت بأذنيه ولا بعقله إلى من يدعو له

لو قمت بإخراج الآهات النارية من حزنه
فإنه كشجرة السرو لا يبدى الخوف من الخريف
إن كان عبد الرحمن يفكر فى طلب الراحة فى العشق
فإنه لا يجيز هذه الأعمال المحرمة فى باب العشق

“ ٣٧٢ ”

‘ ٢٩ - الفؤاد والمعشوق ’

لا يهدأ قلبى من غير معشوقه ساكنا
يطالبنى بالانتصار ولا يتحمل الصبر
تصعب الحياة فى الدنيا دون تحمل الصبر
أين الحصان الذى لا يتدخل اللجام فى فمه؟
لن يكون هناك استقرار وسكون لقبة السماء
لذلك فإن السالك^(١) قد ترك هوس القصر والسطح
حينما يجلسه على السطح وحينما على الزاب^(٢)
إن الدهر لا يرضى عن أحد على السدوم

(١) السالك: سالك طريق التصوف، أو الصوفى الناشئ المعروف بالمريد.

(٢) المعنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مَنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة

آل عمران ٢٦.

باستثناء شجرة السرو التى خلقها الله حرة
لذلك فإن الحسان لا يسلمن على أحد
إن الجبال والصحراء أيضا ترتعش من هم الخريف
لذلك فإن الحجلة لا تمشى إلى المريج بتبختر
من وضع رأسه للسجود إلى الحبيب
لا يقوم من هذا السجود مرة ثانية
ما دامت هجرته بدأت متجهة نحو الحبيب
فإنه يجرى كالبحر ولا يتوقف عند مقام
ليس للعاشق استقرار فى مكان كالشمعة
حتى يكمل صورة العشق ويتمها فى النار
والمحظوظ بمجرد رائحة الوجوه القمرية
لا يفكر فى الحصول على قبلة أو رسالة
من وجد لذة الشفائف الحمراء وذاقها
فإنه لا يحب كأس الخمر مرة ثانية
حرام همرالشفائف الحمراء على هؤلاء الناس
حتى يحرموا على أنفسهم التمتع بلذة أخرى
ليس عند عبد الرحمن برهان يقدمه الى الحبيب
مثل العبد الذى لا يقدم عذرا لسيده

٣٠- العمران فى الدنيا كالخط على الماء

من يأمل فى عمران هذه الدنيا ومتاعها
كأنه يضع علامة بالخط على الماء
لا بقاء للخط على وجه الماء
كمن يظن باطلا بأن المعدوم موجود
الدين والدنيا لا ينسب أحدهما إلى الآخر
كيف للنار والماء أن يعيشا معاً؟
إن العشق منزله من خاصية النفس
كيف يؤدى أحد عمل العين بالفم؟
كما أن العين والأذن تختلف وظيفة كل منهما عن الآخر
كذلك الدين والدنيا فإن لكل منهما حكم خاص
تخيل الشباب فى الشيخوخة والكبر
مثل من يتنزه فى الحديقة فى الخريف
ليس لعبد الرحمن مكان آخر غير عتبه
إلى متى يعيش المسافرون فى السفر

” ٣٩٣ “

٣١- العشاق والناصحون

إن العشاق لا يتكلمون كلام الناصحين
الفيل السكران لا ينف من الرعاة

أقبل الجور كله فى هذا الزمان
راجيا من الله ألا يفارقنى من حبيى
عندما ظهر اضطراب السورود وتحيرها
وضعت البرعومة رأسها على الركبة وتركت الضحك
كيف تقف البركة الصغيرة أمام اندفاع السيل
إن القلب يذرف الدموع، فكيف لا تدمع العين
إن الدنيا كلها معمورة بالحمق وقليلى العقل
لذلك فإن العاقل لا يربط القلب بالدنيا
الإنسان الذى قلبه مربوط بالهواء
لذلك فهو كالحباب ولا يدوم بناء الحباب وعمرانه
جاهل من يبع الدين بمتاع الدنيا
والشخص العاقل لا يتاجر بمثل هذه الصفقة
لو سأل أحد: من العاقل؟ قل: هو الذى
لا يحب أحدا أبدا غير الذات الإلهية
كل ملك لا يواسى الفقير بالود والحب
فإنه يستحق إن أصابه الفقر والمسكنة^(١)
إذا كان مخلوع القلب يتداوى بنظرة واحدة
فهل من العدل ألا يقدم له الحبيب الدواء؟

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كل من خسر قلبه وانهزم أمام الحبيب
فإنه لا يحب أحدا مرة أخرى غير الحبيب
من وصل إلى أذنه كلام الحبيب
فإن تلك الأذن لن تصغى إلى كلام آخر
لن يصل إلى سطح منزل الحبيب العالى
من لم يجعل فناء القلب مضيقا بالبكاء
أنا عبد الرحمن مسرور بحفاء ذلك الحبيب
إن لم يظهر الله غرباء أجانب بيننا

“ ٤٠٧ ”

‘ ٣٢ - التقصير والتغيير ’

إن لم يجعل الإنسان تقصيره من علمه
فإن أحدا لن يغير بعلمه ما أمر الله به
الأمر المقدرة للإنسان واقعة بالضرورة طوعا أو كرها
وإن لم ينظر أحد أبدا إلى التقدير الإلهى
إن الذين استيقظ حظهم لا هم لهم ولا غم
وإن كانوا لا يستيقظون ولا يسهرون ليلا للمناجاة
ماذا نقول عن قلة علمنا وفهمنا
فى إن الشخص الفلانى لا يفكر ولا يدبر أمره

الضيق والسرور إن كانا فى يد الإنسان
فإن أحدا لا يضيّق نفسه بيده
إن معرفة الله واضحة فى كل شئ
ذهب الله بنور عينيه من لا يرى هذا القياس
هذا التنفس كالبرق والشكل (الهيكّل) فانوس
لا يقدر أحد غير الله أن يجعل البرق أسيرا فى الفانوس
كل الناس فى العالم ضعاف غير قادرين
أين الملك الذى لا يقبل منة الوزير وإحسانه؟
كل إنسان يردد اسم المرشد بلسانه
على أية حال، فلماذا لا يعمل بإشارة المرشد؟
أليست هذه علامات القيامة؟ فماذا يكون..
إذا كان كلام الأب لا يؤثّر فى الأبناء؟
تصدر من الدعاء الناصحين أعمال
لا يقوم بها اللص والزانى من الحياء
يرفع نداء التكبير ويسير خلف الميت
ولا يظن أحد أبدا رفع مثل هذا التكبير خلفه
يتعب لكسب المال والمتاع مدى الحياة
ولا يتعب نفسه لحظة واحدة فى سبيل العمل لله
يضحى بحياته وماله لأجل عياله وأهله
ولا يواسى الفقير بقطعة من الخبز

إن عبد الرحمن ملوم ومؤنب لأنه يسمع صرخات الهجران
ولا ينظر إلى الحبيب بدقة متناهية فى نظره

“ ٤٢٣ ”

‘ ٣٣ - البكاء غير مجد ’

إن بكائى لأجل الحبيب قد تجاوز حدوده
لا يقبل حبيى طاعنى بالبكاء والدموع
لو تحول كل حديث لى إلى الدر أو اللؤلؤ
فإنه مع هذا لا يعتبر حديثى يليق بأذنه
لو كان نائما لأيقظته بالصراخ والمناداة
يا الله ما العمل! فقد نام حبيى نوم اليقظة
إننى أتحدث كالرسالة المكتوبة بقم مقفول
إن صمتى الرهيب يسبق ضوضائى
زراعة العشق فى أرض ساخنة ليس بأمر سهل
كأن بحرا عظيما يعيش فى صحرائى
هذا الذى فارقه الهجران منى ليس بحبيب
بل هو روحى التى انفصلت من بدنى
أنا عبد الرحمن لا أطلب شيئا غير الحبيب
إذا كان الله يستجيب عنده لدعائى

“ ٤٣٠ ”

٣٤ - مفارقة رأسى من عتبة الجيب ،

لو أكل النصحاء كبدى بنصيحتهم مائة مرة
فإنهم لن يستطيعوا أن يفصلوا بين رأسى و عتبتك
الصير فى عشقك! أين أنا من هذا الكلام؟
لا قدرة لى على القيام بهذا العمل مقدار شعرة
إن الرجوع فى محبتك وعشقك عار لى
لم لا تتحول بشرتى ترابا فى هذا الطريق بدلا من الرجوع؟
كل العشيقات تقمن بالاستفسار عن العشاق
إلا أنت فإنك لا تسألين عنى للحظة واحدة
لا هم لى أبدا ولا حزن غير حزن فراقك
ماذا، وكيف يكون هم آخر أسوأ من ذلك الهم؟
إن نوم أهل البيت والقرية قد اضطرب من صرخاتى
ما السبب، لماذا لا يظهر أثر صرخاتى على قلبك؟
إن أصبح العالم كله معشوقا لعبد الرحمن
أين يا معشوقى معشوق آخر لى غيرك؟

” ٤٣٧ “

٣٥ - ذكراك دائمة ،

إنك تتردد باستمرار فى ذاكرتى هكذا دائما
لأنك كالأذكار أرددها فى الصباح والمساء

كل كلام أتحدث به من غير ذكرك
أندم على ذلك الكلام وأتوب مائة مرة
لو هدأت قلبي من غيرك بمائة حيلة
ليس بصائر، ليس بصائر أن أهدأ بأية حيلة
لو ضاعت عني الغيرة والشهرة في عشقك
فإن غيرتي وشهرتي فداء عشقك ومحبتك
عندما بلغت مقام العشق، وقمت فيه ثابتا
فقد نسيت هنا كل مقام آخر غير مقام العشق
إلى الوقت الذي لم أقم بإدخاله دن حمر العشق
فإنه لم يصبح عقلى الفج عقلا ناضجا
اليوم وقتك إن كنت تسمع فيه آهاتي وصياحي
قبل أن يصبح كل عضو من أعضائي ترابا
إن الفلك قد قام بتكسير الآلاف من كؤوس الخمر
إلى متى سيدور كأسى فى هذا الدور
إلى متى سأتحمل أنا عبد الرحمن هذا الحرمان مضطرا
قل: متى ستحصل لى على مرادى؟

“ ٤٤٦ ”

‘ ٣٦ - المعشوق والملامة ’

إن كل من لم يشاهد معشوقى
فلا بأس أن يذم عملى فى العشق
وكل من رأى معشوقى المحبوب
فإنه - إن شاء الله - لن ينكر على ذلك
إن عتبة معشوقى أعز عتبة لأجل رأسى
ليس لى طريق آخر غير طريق هذه العتبة
إننى لم أتعلم شيئاً آخر غير العشق
هذا هو الشيء الوحيد، الذى هو كل عملى
لا سمح الله.. أن يؤذى الناس بعضهم البعض
فيا من سلبت قلبى! لا ترتكب إيذاءى
يا معشوقى بسبب فراقك وهمك الكثير
يجرى على وجهى نهر من الدموع
الكل كبيراً كان أو صغيراً يتحدثون بحمدك
لا يوجد فى ديارى غير هذا الحديث
بماذا أتفاخر أنا عبد الرحمن فى العشق
فإن انتظارى هو الذى سيظهر نفسه؟

‘ ٣٧ - روحى فداه ’

إن نفسى ومتاعى فداء محبوبى
فداء محبوبى نفسى ومتاعى
إن خسارتى ونقصانى كلاهما من فراق الحبيب
من فراق الحبيب خسارتى ونقصانى
وردتى وريحائى وجهك وطفائرك
وجهك وطفائرك وردتى وريحائى
إن مسكى وزعفرانى تراب حارتك
تراب حارتك مسكى وزعفرانى
إن فكرى وقدرتى لا يتمكنان من غمك
من غمك وهمك لا يتمكن فكرى وقدرتى
إن تأوهى وأنينى لا يؤثران فىك
لا يؤثر فىك أبدا تأوهى وأنينى
هؤلاء المرشدون وشيوخى لا يتمكنون من غمك
لا يتمكن من غمك هؤلاء المرشدون وشيوخى
فؤادى وعينى لا يتمتعان بحالة من غيرك
من غيرك لا يتمتع بحالة طيبة فؤادى وعينى
حديقتى وبستانى لا يثمران من غيرك
من غيرك لا تثمر حديقتى وبستانى

وصالى وفراقى يا عبد الرحمن خير وبركة
خير وبركة يا عبد الرحمن وصالى وفراقى

“ ٤٦٤ ”

‘ ٣٨ - لم أسمع بحسان مثلك ‘

ما رأيت حسانا مثلك بعينى
ولا فى مكان آخر سمعت ذلك بأذنى
ولا وفاء للحسان مع العشاق
لقد جربت كل الحسان فى الإيفاء بالوفاء
منذ أن رأيت وجهك الحسين
ما نظرت منذ ذلك الحين إلى وجه آخر
لقد استولت همومك على فناء قلبى
فأخرجت من قلبى كل الهموم الأخرى غير همك
عندما أمسكت بمهمة العشق فى يدى
فسحبت يدى من المهمات الأخرى غير هذه المهمة
كذلك خرجت الهموم الأخرى من قلبى
لأننى قد زرعت فيه همومك وحدها
إن كنت تقوم بالوفاء أو الجور فكلاهما فى مكانهما
لأننى قد قبلت منك كلا من الجفاء والجور

أنا عبد الرحمن لا أنام ولا أضحك من غير الحبيب
من غيره لا أفضل النوم ولا الضحك

” ٤٧٢ “

‘ ٣٩ - حفلة العرس ‘

حبيبي! قد أتم أفراح زفافه بالطبل والناي
ولكنه في وقت لاحق سينشد الزمن نشيد مآثمه
مهما قام بإرضاء قلبي بالحب والدلال والتودد
فإنني أعلم استغناء حبيبي وعدم مبالاته
حينما يصبح صديقي وصاحبي وحبيبي
وحينما آخر لا يعتبرني مجرد صديق له
إنني أدعوه حبيبي سلوانا لنفسى وخاطري
وإلا فلا معنى للحب بين الضعيف والقوى
البقاء حيا مدة أو ساعة من غير الحبيب
فإنني أفضل الفناء على هذا البقاء حيا
كل إنسان يشغله الله على عمل من الأعمال
أما أنا فقد اشغلني الله على مدح الحسان
لا أفهم غير فن العشق أيها الناصح
أضحك! سواء أكنت جاهلا أم عالما بذلك
حيران أنا حيث إنه لا يصغى أحد إلى صرخاتي
لا يهتم أبدا سواء أكان صغيرا أم شابا

من غير رؤية الحبيب الجميلة ، ما خلق الله
فى قلب عبد الرحمن أمنية أخرى

“ ٤٨١ ”

‘ ٤٠ - نقش طيف الحبيب ’

من نقش على قلبه خيال الحبيب
يصبح ماله وحياته صدقة للحبيب
يكون وجهه بعد الموت متألأ كالسيف
عندما يذبح الحبيب بسيف الحبيب
يكون مقامه عاليا فى سماء المودة والحب
من يسحق كالأرض تحت الأقدام فداء للحبيب
فى كل لحظة يتهج فيها قلب الحبيب بالسرور
فى تلك اللحظة يتهج قلبى بالفرح والسرور^(١)
أعتبر روحى داخله فى بدنى فى تلك اللحظة
التى أ تدخل فيها فى الوصال مع الحبيب
عندما تصبح ساعة وصال الحبيب من المحال
تصبح تلك الساعة طويلة كأنها أطول من الحول^(٢)

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

لا يهمنى القيل والقال لأى إنسان
عندما يصل إلى أذنى قيل وقال الحبيب
تبت بذرة عيشى وحياتى خضراء
عندما تدخل قلبى وشمة الحبيب الخضراء
ليس لى طيب آخر للعلاج غير الحبيب
ولن يصبح أحد أبدا على مثال الحبيب
لا يقع نظر عبد الرحمن على أى إنسان آخر
عندما يقع نظره وبصره على جمال الحبيب

“ ٤٩١ ”

‘ ٤١ - الحلوى والحساء ’

إن قمت فى العشاء بإمرار الحلوى من حلقك
فإنك ستطلب من الله غدا حساء من اللحم
ليس لك صبر وراحة فى حال من الأحوال أبدا
يا فاقد الفهم! إن أطماعك كثيرة وأهواءك كثيرة
إن البطن الواسع الكبير هو الذى سود وجهك وفضحك
دائمًا بين الأصدقاء والأقارب الأعزاء^(١)
إن كنت أنت لا تهتم ولا تخاف ما يفضحك
فكيف تهتم على الآخرين وعلى أمورهم فى هذا العالم؟

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية

عندما تمد يدك بالدعاء إلى الله من أجل النفس
فهل تطلب من الله التعب والمشقة أو الدواء؟
إن النفس قد ألقت فى البئر كثيرا من الناس بلا حساب
ما جعل الله قائد قوما وزعيمهم أعمى
متى يمكنه " وهذه حالته " أن يفهم الحلال من الحرام؟
ما الفرق بين الحلال والحرام فى نظر حيوان يمشى على الأربع؟
ما فائدة الأذن والعين لدى الحيوانات ذوات الأربع
لأنها فى المعنى حيوانات لا ترى ولا تسمع؟
أنا عبد الرحمن أطلب الحماية والملاذ من ذلك العلم
الذى لا يمت إلى الدين والمذهب بصلة

” ٥٠٠ “

‘ ٤٢ - القلب والدين ‘

إن المعشوق قد أطلق قلبى ودينى وحررهما من قيدي
ومع هذا فإنه لا يحسبهما ثمنا لنفسه
إلى متى أستم فى وصف حسنه؟ فإننى محتار فى مفاته
حيث من المستحيل العثور على نهاية لمفاتن جماله
إنه جميل نقى خال من العيوب فى صورته وشكله
إنه كالبيضة التى لا وجود لأصل الشعر فيها
إن كان وجهه مغطى بالضفائر فلا خوف من ذلك
لأن الكنز النفيس تلف به الأفعى دائما

من رونقه يتلألأ كالشمس المضيئة فى الشفق
 إذا وضع على رأسه غطاء الفرح من أغلى النسيج
 لست أدرى على أى طريق من الطرق أسير إليه
 لأن آلافا ممن ينافسوننى يراقبون عن شئالى وعن يمينى
 ما جعل الله أحدا من الناس يتحمل الهم بمفرده
 مثل ما أتحمّل أنا همك وغمك بمفردى
 إننى أحترق دائما بسبب هموم الهجران
 فأنا عبد الرحمن أقول: " نعوذ بالله منها "

" ٥٠٨ "

‘ ٤٣ - العاشق الصادق ‘

إن كنت عشيقا تعشق^(١) حبيبك صادقاً
 قم بإصلاح الدين أولاً ثم بإصلاح الدنيا
 لا تتخذ بوفاء من يخلب القلب من الحسان
 لأن هؤلاء القوم لا وفاء لهم من الكبرياء

(١) العشق: الإفراط فى المحبة، وفى مدلوله الصوفى: عشق الخلق للحق المترتب على عشق الحق للخلق، بحجة قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ اللَّهُ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة ٥٤، والعشق عندهم جامع الكمالات الإلهية كلها، وهو من المواهب وليس من المكاسب. وقد مر شرحه فى ص ١١٨ هـ ٣ من هذا الكتاب.

إن طائفة فائتات الوجوه جريئة دون خجل
بحيث لا تسمع صياح الشكوى وصرخة الألم
بسبب كثير من الدلال، وكثير من الكبرياء
لا تعمل ولا تنفذ ما يسدى به الأولياء من النصح
بنصف النظرة تسلب قلب الإنسان ودينه
لا تحس بخشية من أحد، وليس لها الحياء
لن يكون في العالم حيران مضطرب
مثل العاشق، أو السماء، أو الرحى
أنت إذ تحافظ على نفسك ومالك في العشق
فأين يكون العشق مجاننا، وبدون الفداء؟
إن أردت الحبيب فعليك أن تتجاوز عن حور الجنة
ما بدل الله ما يبيعه الشخص نقدا ببيع النسيدة
اشرب وتجرع من يد الساقى^(١) حمرة
لتقطع ما في قلبك من وسخ الرياء
من أصبح عشق من يخلب القلب من الحسان مهنته
فإنه لا يلتفت بعد ذلك إلى مهنة الكيمياء

(١) الساقى : من يقوم بتقديم الماء أو الخمر للناس. وعند أهل التصوف هو الفيض المطلق، ويطلق على المرشد الكامل، أو على شيخ الصوفية. وقيل إن الساقى هو الذات باعتبار حب الظهور.

يكفيه قول واحد من البيان يا عبد الرحمن
ما الداعي لتسأل كل ساعة وتكرر السؤال مرة بعد مرة

“ ٥١٩ ”

‘ ٤٤ - عبور العشق ’

إن عشقى له قد مر بقلبي مرة أخرى
وأشعل الفراق اللهب على رأسى مرة أخرى
لو كان سجل قسمتى ونصييى فى يدى
لقت بتمزيقه وتقطيعه من شدة همك وغمك
لم أكن قد ذكرت على لسانى اسم الحب بعد
حتى أعد الفراق جيشه لقتالى مرة أخرى
بعد الوفاة سأقدم نفسى فداء لك
إذا أحيا الله صورة جسدى يوم الحشر ثانية
لقد نسى قلبى محنة الفراق كلها تماماً
عندما شاهدت بعينى محياك مرة ثانية
الشمس التى كانت السماء قد سترت وجهها بالسحاب
فإن الله قد فتح لى تلك الشمس المضيئة مرة ثانية
الباب الذى أغلقه الحاسد بالسلسلة أمامى
فإن حبى قد فتح أمامى ذلك الباب مرة أخرى
إنه قد خطف قلبى وأذهب به بنظرة واحدة
فليقدر الله لنا خيراً عند توجيهه نظره ثانية

عش يا عبد الرحمن شاكرًا له، ذاكرًا منته
لا دخل للجوهرة فى الصدف مرة ثانية

“ ٥٢٨ ”

‘ ٤٥ - السعادة والقناعة ’

إن السعادة فى هذه الدنيا قد وجدها أولئك
الذين أبدوا قناعتهم فى الدنيا بالقليل
إن أملاك سليمان وسلطانة لألف سنة
لا يساوى عبادة ساعة واحدة طاعة لله فى الدنيا
إن نفسًا واحدًا فى ذكر الله أولى وأفضل
لا يساويه ما فى العالم كله من ثروة الدنيا ومالها
إن الغنيمة فى الدنيا ينالها هؤلاء الناس
الذين يعبدون الله تعالى فى هذه الدنيا
إن النعمة الحقيقية هى طاعة الله وعبادته
وإلا، فإنه لا توجد نعمة أخرى فى هذه الدنيا
يجب تحمل البلاء والمشقة والتعب فى سبيل الدين
لا ينبغي تحمل مشقة أخرى فى هذه الدنيا
إن الموجدات والكائنات كلها فانية إلا الله
سواء أكانت من متعة لذية، أم من زينة جمالية
إن كان الإنسان ملكًا فإنه راحل إلى التراب فى النهاية
إذن ما معنى الغربة والقربة فى هذه الدنيا؟

لن يوجد فى الدنيا من هو أكثر جهلا من ذلك
الذى يطلب الراحة والهدوء فى هذه الدنيا
إنك تطلب عدة ساعات لانتهاز الفرصة
من الذى وجد فرصته فى هذه الدنيا؟
إن كل من يقوم بالبناء والإعمار فى هذه الدنيا
مثله مثل من يبنى فوق رمل تذروه الرياح^(١)
إن استقامة الإنسان فى هذه الدنيا
ليست أقل من سقطة السكران وانزالقههم فيها^(٢)
إن كل إنسان حى عندما يذهب إلى قبر الميت
يكفيه ذلك نصيحة وعبرة فى هذه الدنيا
اذهب إلى الماء السائر، وانظر إلى العمر من خلاله
هذه إشارة فيها كثير من العبر فى هذه الدنيا
إن هذه الدور والحال المحكمة البناء
ستهدم عاقبة الأمر فى هذه الدنيا
إن عيون السماء الجائعة ليست بالتي
ترك أحدا من الناس بمأمن فى هذه الدنيا

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

كل ما جاء إلى هذا العالم، ذهب عنه وارتحل
كل مظهر من مظاهر العالم مسافر من هذه الدنيا
إن الرياضة الروحية لا تتم في القيامة، والشجاع هو
من يقوم بالرياضة العبادة في هذه الدنيا
وأيضاً ستقوم على هذا الخلق والخصال حيا يوم القيامة
ما جعل الله أحدا سىء الخلق والخصال في هذه الدنيا
وسوف يكون بيد حصاده بعد الموت كل ذلك
الذى يقوم بزراعته في هذه الدنيا
إن كان لا يبدو ذلك العالم في هذا ولا يظهر
فإننى أرى وأشاهد علامته في هذه الدنيا
لن ينفع أحدهما الآخر كزاد طيب يوم القيامة
لأننى قد رأيت يوم القيامة في هذه الدنيا
كل من يعيش ويمجنا صادقا في هذه الدنيا
سيظل داخل لحده^(١) مأمونا محفوظا بأمانة أيضا^(٢)

(١) اللحد: شق يكون في جانب القبر للميت، وجمعه ألحد ولحدود، قال عليه الصلاة والسلام:
” اللحد لنا والشق لغيرنا “ وقد استعمل الشاعر كلمة اللحد نفسها مما يدل على علمه في
الفقه الإسلامى، واللغة العربية.

(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

اعتبر الحضور فى الجنة هو العمل، والطاعة
من يتمكن من الحصول على الجنة فى هذه الدنيا؟
إن السلوك الطيب، والعمل الصالح والخلق الحسن
جنة، وراحة، وطمأنينة فى هذه الدنيا
إن العناد والضدية يجعل من عمر الإنسان عذابا
لا ينبغي القيام بالعناد والضدية فى هذه الدنيا
وضع اليد على الرأس والصدر احتراماً لكل شخص
ذلك هو الشرف والنيل والخلق الطيب فى هذه الدنيا
من أراد أن ينال مرتبة رفيعة عالية
فإن هذا المقام العظيم هو العدل فى هذه الدنيا
لن يرحل الإنسان من العالم على أمل تحقيق أمنية
غير أمنية المحبة والمودة فى هذه الدنيا
هنا يتم كل البيع والشراء من أجل ذلك العالم
من يقوم بالتجارة والعمل فى هذه الدنيا
إن لم يكن حظ الإنسان منحوساً مشغوماً
فإن الحقيقة ليست بخافية أبداً فى هذه الدنيا
الطيب يجدر بالطيب، والسيئ بالسيئ
من أراد الولاية والورع فى هذه الدنيا
لو اجتمع العالم، واتحد كل ما فيه جميعاً
لن يغير ذلك حظ الإنسان وما قدر له فى هذه الدنيا

إن كان هناك شجاع، فالشجاع فى هذه الدنيا
هو كل من لا يحوج نفسه لأحد فى هذه الدنيا
إذا كانت رغبة إنسان مصدرا لجلب كل أنواع البلاء
ماذا يفعل الإنسان بمثل هذه الرغبة فى هذه الدنيا
لقد مر عمر عبد الرحمن، وانقضى سريعا
كما تمر ساعة واحدة وتنقضى سريعا فى هذه الدنيا

“ ٥٦٥ ”

‘ ٤٦ - لا تظنه ذكيا ‘

لا تعد ذكى الدنيا ومتاعها ذكيا
عديم المعرفة من له معرفة بهذه الدنيا
إن النور محرم على تلك القلوب
التي وقع عليها غبار حب هذه الدنيا
عقيم الجدوى كل ما يتحدث به أهل الدنيا
من الأموال والأحاديث الخاصة بهذه الدنيا
كل من يقوم بالأعمال الخاصة بهذه الدنيا
فإنه كالأطفال يلعب بالسراب^(١)

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

إن المحنك، والناضج فى العمل فى هذه الدنيا
كلهم كالأطفال الرضع أفواههم مليئة باللبن^(١)
يكون عديم المعرفة، وعديم الشعور على الدوام
كل من كان مخمورا بتأثير الخمرة ومفعولها
لا تبلغ نشوة شارب الخمر وسكرها
مبلغ نشوة شارب حمر هذه الدنيا وسكرها
لكل مريض دواء لعلاجه فى هذه الدنيا
لا دواء لعلاج مريض. عرض هذه الدنيا
يتم علاج كل محروق ومداواته فى العالم
إلا ذلك الذى قد احترق بشرارة هذه الدنيا
كل ما يلقيه إلى النار يحترق كله تماما
ولن يشبع طالب هذه الدنيا أبدا
إن المتعلق بالدنيا يغرق فى همها وغمها دائما
ما صار أحد متعلقا قلبه بهذه الدنيا
يعيش دائما ملقى فى الظلمة والكممة
من كان أسير الكفار فى هذه الدنيا

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

المسلم المختار المتميز من بين المسلمين
هو ذلك الذى قطع زنار^(١) هذه الدنيا
لا فرق بين السجود إلى الصنم، والسجود إلى الدنيا
فعابد الدنيا ومتاعها عابد الأوثان وأصنامها
يبقى جسده بلا رأس، ورأسه يرحل
متى كان سيذا سيد هذه الدنيا ومتاعها؟
يترك أبناءه وبناته أيتاما ويرحل عنهم
عديعة الوفاء أم هذه الدنيا وأبوها
يحمل دائما فوق رأسه حملا من الهموم
من كان على رأسه عمامة هذه الدنيا
كله هم وغم.. أتبيعه أم تشتره
لا شئ غير ذلك فى سوق هذه الدنيا
كلهم محتالون.. فالاحتيال والمكر ديدن
البائع والمشتري فى هذه الدنيا
لن يحب الدنيا فى أى وقت من الأوقات
من لديه خير من أضرار هذه الدنيا

(١) الزنار: سلسله، أو حزام، أو شريط يشده النصراني على وسطه. ويعلق به الصليب على رقبته.

من كان نظره مركزا على الدين والإيمان
فهو لا ينتظر شيئا من هذه الدنيا
من كان يخاف من البئر، والخندق العميق
فإنه لا يسير فى طريق هذه الدنيا
أصدقائه جميعا محتالون مكارون
كيف يمكن الاعتماد على مكار هذه الدنيا؟
كبرها وصغيرها كلهم أجانِب، ليسوا بأصدقاء
أين الصديق فى ديار هذه الدنيا؟
الذى يظهر ويأتى إلى الوجود يموت ويفنى جميعا
تعال، وشاهد غارة ونهب هذه الدنيا
كلما أتت إلى إنسان ذهبته منه
إننى قد عرفت مسلك هذه الدنيا
حينما يأتى الربيع، ثم يأتى الخريف
عديم البقاء ربيع هذه الدنيا
لو وضعت لحائطها أساسا متينا ألف مرة
فإنه لا أساس أصلا لدار هذه الدنيا
مهما أحطت نفسك بسور من حديد
فاعتبر أنه سور من الزجاج حصار هذه الدنيا
تدور كالظل فى وجه الشمس
دائما أبدا عديمة الاستقرار هذه الدنيا

لا تظن أبدا على أنها هي الأحسن والأفضل
إنها لنذالة تتعاقب فى هذه الدنيا
يقطع عمر الإنسان دون استعمال المقراض
ليل وكذلك نهار هذه الدنيا
بعد الموت يطلب من الإنسان أن يقدم حسابا
بمقدار ما قام به من الأعمال فى هذه الدنيا
يتحول فى عاقبة الأمر إلى حفنة من التراب
الوسيم ومن كان وردى الوجه فى هذه الدنيا
سيقوم من قبره مع الفقراء جنباً إلى جنب
الأمير ومن كان ملكاً فى هذه الدنيا
سيعلو كعلامة فارقة فوق صدر اللئيم
كل درهم ودينار جمعه فى هذه الدنيا
فليكن صدقة وفداء لقناعة القنان
كل متاع وكذلك كل دينار فى هذه الدنيا
وبعد الموت سينزل الجميع مكان المظلومين
الجائرون والظالمون فى هذه الدنيا
ستظل العشرة عشرة، والعشرون عشرون حتى القيامة
لم يتم أحد العدد والحساب فى هذه الدنيا
عندما تحل عليه أيام التكفين والتغسيل
يصبح عديم الحجاب من كان محجوباً فى هذه الدنيا

يُخرج من الحجاب عاريا فوق لوحة الخشب
من كان خجولا ذا حياء في هذه الدنيا
لكانت الثروة لدى الرسول ﷺ أكثر من غيره
لو كان هناك وقار أو تقرب في ثروات هذه الدنيا
ليس في إمكان عبد الرحمن القيام ببيان مفسدها
لأن المفسد والعيوب كثيرة في هذه الدنيا

“ ٦٠٨ ”

